أسبوع فى فلسطين

للأستاذ محمد سعيد العريان

لما بلغتنى دعوة مصلحة الإذاعة الفلسطينية بالقدس ، لأذيع حديثاً عن المرحوم الرافعى لمناسبة تمام سنة على وفاته ... تهللت نفسى وسُرىَّ عنى وقلت : هذا قطر من أقطار العربية لم يزل على وفائه لكاتب العربية والإسلام ...

ثم عادت إلىّ الذكرى ، فتغشّانى حزنٌ وألم حين ذكرت أن مصر العربية المسلمة لم تستطع — بعد عام — أن تقوم للرافعى ببعض حقه حتى فى الدعوة إلى حفلة تأبين تذيع فضله وتذكر به... إلا محاولات فاشلة لا تغنى ولا تقوم ببعض الوفاء !

وازدحمت فى رأسى صور وخواطر ، وتتابعت على عينى ذكريات وذكريات ، وتدافعت إلى صدرى آلام وأشجان ؛ وقالت لى نفسى : بعض هذا يا صاحبى ؛ وماذا كنت تنتظر أن تصنع مصر للرافعى ؛ وإن بينه وبين كل أديب فى مصر ثأراً لا يخفف الموت من عنفوانه وشدته !

وكأنما كانت مقالة صديقى الأستاذ سيد قطب فى ذلك الوقت لتذكرنى بالحقيقة التى يعيش فيها بعض أدبائنا حين يحاولون أن يجعلوا من بعض المداوات الأدبية ثأراً يتوارثه الأبناء عن الآباء ، فيجعلون من دروسهم الأدبية إلى تلاميذهم ما كان بينهم وبين الموتى من المداوة والبغضاء !

... وهممت أن أعتذر إلى الداعى من حياء وكبرياء ، خشية أن يسألنى سائل هناك : ما ذا فعلت مصر للرافعى ولها كانت حيّاته وفيها مثواه ؟ فتمنعنى العزة القومية أن أتهم قومى بالعقوق ونكران الجميل

ولكنى جمعت عزيمتى وأقنعت نفسى بأن العلم لا وطن له ، وأن بلاد العربية كلها وطن واحد لمن يستشعر فى نفسه عزة المسلم ومجد العربى . وأجبت الدعوة ...

وكنت ثالث ثلاثة من المصريين دعتهم مصلحة الاذاعة بالقدس منذ كانت لإذاعة أحاديث أدبية ؛ أما السابقان فهما الدكتور هيكل باشا والأستاذ المازنى .

* * *

فلسطين هى تلك البلاد المقدسة التى تربطنا بها أواصر وثيقة منذ أقدم عصور التاريخ ، من أيام الفراعين ، إلى صدر الاسلام ، إلى عهد صلاح الدين ، إلى تاريخ المماليك ، إلى زمن محمد على وابراهيم الفاتح ... إلى اليوم الذى مزقت فيه الحرب العظمى دول الاسلام ، وتوزعتها أطماعُ السياسة الأوربية !

بيننا وبينها وحدة الدين ، وآصرة اللغة ، وعاطفة الجوار ، وواشجة الدم والنسب من لدن عمرو بن العاص إلى عهد الفاروق . لا يفصلها عن مصر فاصلٌ من جبل أو بحر أو حد مصنوع ، إلا أن تكون تلك القناة الملعونة فى التاريخ — قناة السويس — التى كان إنشاؤها غُنْماً للعالم وغرماً على مصر ؛ ومنها كان الرمز الأول للقطيعة بين مصر وبلاد الاسلام ، حين شاعت على ألسنة المصريين تلك الخدعة المأثورة : « مصر قطعة من أوربا ! »

فكانت دسيسةً سياسية بارعة ، فرّقتْ بين الأخوين لأبٍ وأمٍّ حيناً من الزمان !

* * *

ركبت القطار من محطة القاهرة فى منتصف الساعة السادسة من مساء السبت ٧ مايو ، وفى وهمى أننى مسافر إلى بلد بعيد ؛ فما أشرق صباح اليوم التالى حتى كنت فى مدينة القدس المطهرة عاصمة فلسطين ، قبل أن تبلغ الساعة التاسعة . ست عشرة ساعة بين القاهرة والقدس ، فى قطار يدب على رمال الصحراء دبيب السلحفاة بطيئاً وانياً ويقف فى الطريق أكثر من أربع ساعات

إن المسافر من القاهرة إلى بعض الأقاليم الجنوبية من مصر نفسها لا يبلغها فى ست عشرة ساعة فى القطار السريع ؛ وإنك مع ذلك لتسأل نفسك : كم مصريًّا رحل إلى هذه البلاد الشقيقة ليتعرف إلى أهله من أهلها ؟ فلا يأتيك الجواب بما يؤكد لك معنى من معانى الاخاء والقربى بين مصر وفلسطين !

لماذا لماذا ؟ لأن السياسة التى تسيطر على مصر وفلسطين لا يرضيها أن تكون بين مصر وفلسطين رابطة من الود والاخاء . وقد بلغت هذه السياسة فى مصر ما لم تبلغه هناك ، فنسى المصريون

إخوانهم فى فلسطين ولم ينس الفلسطينيون إخوانهم على ضفاف النيل ، وفى كل سنة يفد إلى مصر مئات من شباب فلسطين ، وأدباء فلسطين ، وتجار فلسطين ، ليمتعوا أنفسهم برؤية إخوانهم وأهلهم فى وادى النيل ، ثم يعودون إلى بلادهم ينتظرون ردّ الجميل فلا يجدون الجميل !

ست عشرة ساعة ، لو اطرد الطريق وقلت محطات الانتظار مابلغت ثمانى ساعات ، هى كل ما بين مصر وفلسطين .

ما أقرب وما أبعد !

وصل بى القطار المصرى إلى محطة القنطرة على القناة ، فى منتصف التاسعة مساء ؛ وركبتُ من ثمّة قطار فلسطين ، فلم يتحرك للسير قبل منتصف الثانية عشرة . ثم مضى بنا بين كثبان الرمل فى صحراء سينا إلى غايته . فلم يكن لنا مع الظلام الدامس ووحدة مناظر الصحراء ، إلا أن نأوى إلى مضاجعنا — غير الوثيرة — فما استيقظت إلا فى الخامسة صباحاً وقد اجتزنا الحدود المصرية ووقف القطار فى (غزّة) أولى مدائن فلسطين . ونبهتنى أصوات الباعة على رصيف المحطة ؛ ففتحت النافذة لأستقبل أول شعاعة من أشعة الشمس البازغة من وراء الجبال ، تداعب أجفان النائمين خلف نوافذ القطار ؛ وهبّ النسيم ندياً معطّراً بأزهار النارنج كأنه يحمل أريجاً من أنفاس أهل الجنة . وسرّحتُ الطرف فيما أمامى ؛ فاذا صفحة مشرقة تتحدث عن جمال الطبيعة وقدرة الخلاّق ، لم ير المصريون لها شبيهاً فيما رأوا من جمال الطبيعة المصرية بين الأسكندرية وأسوان .

بيوت مبعثرة على رؤوس التلال وفى سفوح الجبل ، وسهول رملية فيحاء قد نبتت فيها شجيرات القمح والشعير ، وحدائق خُضر ناضرة قد ملأتها أشجار البرتقال والنارنج والمشمش ، ونخلة قائمة هنا ، وخيمة مضروبة هناك ، وكروم زاحفة على الأرض ، وأعشاب نامية على الصخر ، وأخاديد خدّتها الأمطار فى خدود الجبال ؛ والقطار يسير فى طريق ملتوية بين منحنيات الجبال ، صاعداً منحدراً ، ومشرّقا مغرّباً ؛ كأنما اتخذوا له هذا الطريق ليجلوا على المسافر كل ما يمكن أن تجتليه العين من رُواء الطبيعة فى فلسطين ؛ فما ملت النظر إلى هذه المشاهد الفاتنة واقفا فى نافذة القطار ثلاث ساعات ، حتى وصلت إلى محطة اللّدّ فى الساعة الثامنة صباحاً ؛ ومحطة اللّدّ هى المحطة المركزية فى فلسطين ، ومنها تتفرع سكة الحديد فروعها إلى مختلف أنحاء البلاد ، أو يستمر القطار سائراً فى طريقه إلى دمشق ...

وانتظرت فى محطة اللّدّ زهاء ساعة ، قبل أن يتحول بى القطار فى طريقة إلى القدس المطهرة ؛ وفى الطريق بين اللّدّ والقدس ، صحبنى شاب من أدباء فلسطين أُنسيتُ اسمه ؛ فأخذ معى فى حديث طويل عن السياسة وآخر أنباء الثورة ومصير فلسطين ؛ وكان يتحدث إلى فى حماسة وقوة وانفعال كأنه خطيب على رأس كتيبة يحمّسها إلى الجهاد ؛ فوالله ماأدرى أكانت شدة أسره فى الحديث أم روعة المناظر من حولى أحب إلىّ ...

واقتربنا من بيت المقدس فسكت محدثى قليلاً ثم سأل : هل لى أن أتشرف بمعرفة سيّدى ؟ قلت : مصرى ! قال : نعم لقد عرفت ذلك من حديثك ، ولكن ... يخيّل إلى أنى أعرف أكثر من ذلك عن سيدى ... ولولا أن الجرائد تقول إن الأستاذ سعيد العريان لا يقدم إلى القدس إلا غداً ، لقلت إنك هو ... إننى أعرفه بصورته من مجلة الرسالة ... !

وكانت أول تحية كريمة يلقانى بها أديب من شباب فلسطين ، وكانت مفاجئة ؛ فأحسست شيئاً من الخجل والارتباك ، لم أجد معهما إلا أن أمد يدى إلى صحفة فى يده مستأذناً ، فدفعها إلى ؛ وفيها قرأت أننى قادم إلى القدس فى صباح الغد ... وهو الموعد الذى كنت حدّدته من قبل لمحطة الاذاعة ، ثم بكرت فى السفر قبل ميعادى بيوم ...

إننى لم أكن أقدّر — وأنا من أنا فى نفسى — أننى سأجد من يعرفنى فى فلسطين أو يهتم لقدمى ؛ ولو أننى بلغت بنفسى من الغلو أقصى ما تبلغ إليه أمنية شاب مثلى ، لكان ما رأيت من حسن استقبال المقدسيين وحفاوتهم فوق ما تبلغ منية المتمنى ولا أزهو بنفسى فأزعم أننى أهل لبعض ما لقيت ، ولكنه كرم الفلسطينيين العرب يأبى إلا أن يستعان فى كل متاسبة ولكل مجال

وفى دار شيخ أدباء العروبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى كان مقامى طول المدة التى قضيتها فى فلسطين . لقد دخلت فلسطين وأنا خفيف الظهر فما فارقتها حتى كان علىّ من الدين لهذا الرجل الكريم ما ينوء به كاهلى ؛ فشكراً له ثم شكراً ثم شكراً ... ومعذرة إليه إن عجزت عن الوفاء !

وصحبتنى طائفةٌ كريمة من الأدباء فى غُدُوى ورواحى ، لتهيئ لى أسباب التمتع فى الرحلة بين المشاهد القدسة والبيوت الأثرية ، فزرت المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، ومصلّى عمر ،

وكنيسة القيامة ، ومصعد المسيح ، وبيت لحم ، والمتحف الإسلامى ، وكلية الروضة ، والنادى المصرى ؛ وتمتعت برحلات عدة كان رفيقى فى أكثرها الأستاذ الأديب إبراهيم طوقان وكيل القسم العربى في محطة الإذاعة . ولن أنسى ماحييت فضله وفضل الأصدقاء الكرام : الدكتور إسحاق الحسينى ، والشيخ يعقوب البخارى افندى ، والأستاذين داود حمدان ، وعبد الحميد يس ، وغيرهم من أدباء فلسطين وأهل الرأى والجميل

وإذا كان لى أن أذكر شيئاً بخصوصيته فى هذه الرحلة ؛ فان اليوم الذى خطبتُ فيه فى كلية روضة المعارف الاسلامية بالقدس سيظل أنقى أثراً وأخلد ذكراً بين أيامى

وكلية روضة المعارف الاسلامية فى القدس ، هى مدرسة حرة يشرف على شئونها المجلس الاسلامى الأعلى ، ولها منهج خاص يُعدُّ شباب العرب ليكونوا فى مستقبل أيامهم رجال العربية والاسلام . ومدير هذه المدرسة هو الأستاذ عبد اللطيف الحسينى ورئيسها الأستاذ الجليل الشيخ محمد الصالح افندى ، وتضم بضع مئات من فتيان العرب جمعتهم إلى منهل في الثقافة العربية الإسلامية أكثرَ ملاءمة لحال البلاد فى هذه الأيام . وفيها طائفة من المدرسين الأكفاء عرفت منهم الأستاذ عبد الفتاح لاشين المصرى ، والأستاذ عبد الرحمن الكيالي الفلسطينى ، وهما من خريجى مدرسة دار العلوم فى مصر

زرت الكلية صباح الاثنين ٩ مايو مع الأستاذ طوقان ؛ وما بدٌّ لمن يزور فلسطين من أهل العربية من زيارة هذه الكلية ... وقضيت ساعة ... ثم انصرفت على موعد للغداء وإلقاء محاضرة فى بهو المحاضرات بالكلية عن : « المثل الأعلى للشاب المسلم » بعد ظهر الأربعاء

لا تحدثنى عن شباب مصر وطلبة العلم فى مصر إذا ذُكر شباب فلسطين وطلبة العلم فى كلية الروضة . هنا شباب يحسنون الزينة ويفتنُّون فى وسائل الأناقة والتجمُّل ، وهناك رجال قبل سنّ الرجال يعرفون لأى غاية يتعلمون ، ويفكّرون لقدم قبل أن يفكروا فى مطالب الصِّبى وأمانىّ الشباب ...

وعرفت أولَ من عرفتُ في فلسطين ، شبابها العربى المسلم فى كلية الروضة ...

(لها بقية) محمد عبد العزيز الخولى

رسالة مسلمى الصين
الى مسلمى العـــالم
عن حقائق الحرب الصينية اليابانية القائمة

إخواننا الأعزاء المسلمين فى العالم

أصدقاءنا الأجلاء المحبين للسلام

السلام عليكم وعلينا وعلى جميع المظلومين والمنكوبين فى العالم!

إن بلاد الصين الجمهورية تحب السلم كما أحبته وهى ملكية . فهى تسير على نصيحة الحكماء الصينيين بعدم القتال وتقليل الجيش، وكانت تحسن معاملة البلاد المجاورة لها شاعرة بالشرف المشترك حريصة على حياة الجميع ، وهذه كلها حقائق تاريخية لدى الأمم الاسلامية

إن اليابان أخت الصين الصغيرة مشتركة معها فى الجنس واللغة مجاورة لها كالشقة والسن ، وهي متقدمة اليوم باستنارتها من الآداب والتعاليم الصينية

هذا وإن اليابان تذكر دائماً ولا تنسى تلك الفكرة الاستعمارية القديمة فكرة الآباء والأسلاف ، فبدأت تثير الحرب بينها وبين الصين منذ ٣٠٠ سنة ، ولكن لم تصل إلى حلمها هذا لقلة قوتها فى ذلك الوقت . وقد تضاعف جهدها فى هذه الأيام القريبة للسعى فى إثارة الصينيين فاتكأت على قواها الحربية سائرة على طريقة غير مشروعة وأخذت أراضى صينية كثيرة منذ ٦٠ سنة وقهرت أهاليها واستبدت بمكانها . على أن حكومة الصين الملكية فى ذلك الوقت تساهلت وتجاوزت عن هذا الاعتداء، فاضطرب الشعب كله وهاج هائجه واتحد وثار سنة ١٩١١ على تلك الحكومة الملكية الاستبدادية المفرطة

ولما قامت على أنقاض الملكية حكومة صينية جمهورية سارت تلك الحكومة الجديدة في طريق البناء والعمران . وبعد القضاء على مبدأ الملكية واندحار المحافظين عليه . جاءت الحرب العظمى فانتهزت اليابان فرصة سوء الحال فى الصين وكثرة مشاغل الدول فعرضت على الصين معاهدة تحتوى على ٢١ مادة كلها ترمى إلى إخضاع البلاد اقتصادياً وأدبياً ، وأجبرت الحكومة الصينية على قبولها وتوقيعها . فثار لذلك الطلبة الصينيون ونشروا دعاية وطنية